اللباس في عصور ما قبل التاريخ
في شمالي وشمال غربي الجزيرة العربية من خلال الرسوم الصخرية

عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار
نايف بن علي القنور

ملخّص: يتناول البحث اللباس في عصور ما قبل التاريخ، في شمالي وشمال غربي الجزيرة العربية، من خلال الرسوم الصخرية. ويهدف البحث إلى معرفة طبيعة اللباس المستخدم، وأنواعه، وطرق صناعته؛ خلال تلك الحقب الزمنية من التاريخ الإنساني القديم؛ وهل هناك تأثيرات حضارية خارجية أسهمت في هذا الجانب، والمعلومات التي يمكن استخلاصها ومعرفتها. استعان الباحثان بعدد (١٥) لوحة رسوم صخرية، كعينة ممثلة لمنطقة الدراسة، التي تشمل مناطق حائل والجوف وتبوك.

Abstract. *The paper deals with dresses in prehistoric times in the area of north and northwest Arabia through rock drawings. It aims at finding out the nature of the dress types and manufacturing methods. It will trace the extent of its development during those periods of prehistoric times of human history, and the effect of neighboring regions on Arabian costumes. The study analyzes fifteen rock drawings which represent the area of the study, covering parts of Hail, Al-Jouf and Tabuk. Previous studies from the region, archaeological evidence and comparison with neighboring regions are essential for explaining the costume developments.*

مقدمة

يشكّل اللباس أهمية بالغة في حياة الإنسان، منذ القدم وفي وقتنا الحاضر؛ وذلك لكونه استخدم في المقام الأول لستر العورة، ثم الزينة والحماية وغيرها. يقول الله تعالى: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٢ و٢٦)؛ ومن خلال هاتين الآيتين الكريمتين نرى أن الخالق عز وجل قدّم ستر العورة على الزينة وغيرها من وظائف اللباس، لأن اللباس الذي يستر العورة يعد واجب تقره الفطر السليمة.

ولا شك أن التعرف على أنواع اللباس وأشكاله وتقنية صناعته، وبخاصة في الفترة التي يعالجها البحث، تعد من الصعوبة بمكان؛ إذ أن المادة التي صنع منها وهي غالباً ما تكون من المواد العضوية، معرضة بشكل كبير جداً للتلف والفقدان، نتيجة تحللها بفعل العوامل الطبيعية، إذ لا تحوي المواقع الأثرية التي تم الكشف عنها ما يشير إلى وجود هذه المواد، إلا النزر اليسير الذي لا يزودنا بالمعلومات بشكل مفيد.

ولعل من أهم المصادر التي تُستقى منها معلوماتنا في هذا الجانب يتمثل في المقام الأول بما حوته وحفظته بعض لوحات الرسوم الصخرية في المواقع الطبيعية، سواء أكانت منحوتة أم مرسومة بطريقة الألوان. كذلك يمكن التعرف على اللباس من خلال بعض اللوحات الجدارية والتماثيل المصنوعة من الحجارة أو الفخار أو المرمر أو المعادن ونحوها، التي تحمل أحياناً كثيرة رسوماً ملونة لأشكال بشرية بعضها يظهر بملابس متنوعة ومختلفة.

وتظهر لوحات الرسوم الصخرية بعض الأشكال البشرية وهي ترتدي ملابس مختلفة في طرزها وتصميماتها سواء للرجل أو المرأة، إلا أن بعض تلك الأشكال قد لا تظهر

(ص ص ١٧-٣٤) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

تفاصيل محددة في هذه الرسوم؛ من ناحية نوع المادة وقياساتها وألوانها وطرق حياكتها وتركيبها مع بعضها بعضاً. ولعل ذلك يعود إلى طبيعة المادة التي يتم تنفيذ الرسوم عليها؛ فالمادة الصخرية لا تساعد على إظهار كامل التفاصيل للعنصر الفني المراد تنفيذه عليها، كما أن طريقة النحت أو الحفر كانت تقف حائلاً أحياناً أمام الفنان القديم في تقديم الموضوع بالصورة التي يرغب؛ إذا استثنينا الرسم بالألوان الذي يتيح للفنان إظهار ما يريد بدقة ووضوح كبيرين في أغلب الأحيان.

الجدير بالذكر، أنه لا يعرف على وجه التحديد متى وأين بدأ أول إنسان صنع اللباس وارتدائه، إلا أن بعض المؤرخين والمفسرين يرون أن أول كسوة كسا الله سبحانه وتعالى خلقة كانت كسوة آدم وحواء عليهما السلام، وكانت من شعر الضأن، جزّاه ثم غزلاه؛ فنسج آدم لنفسه جبّة، ولحواء درعاً وخماراً (ابن كثير، ١٩٨٥: ٤٩). ويفهم مما سبق أن اللباس في عهد آدم عليه السلام كان من شعر الحيوانات، يجري تنظفيه وغزله بصورته البسيطة ثم يلبس على هيئة جبة بالنسبة للرجال أي قطعة واحدة من اللباس، وبالنسبة للنساء فكان لباسها عبارة عن قطعتين هما الخمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والدرع الذي عبارة عن قميص يستر بقية البدن.

وفي فترة تلت عصر آدم عليه السلام، يذكر ابن كثير أن إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم ولبس المخيط، وكانوا من قبل يلبسون الجلد (ابن كثير ١٩٨٥: ٦١). وهنا يتبين أنه في عهد النبي إدريس عليه السلام حدث تطور فيما يخص طريقة صنع اللباس، إذ انتقلت التقنية إلى استعمال المخيط؛ وهي بلا شك نقلة نوعية فيما يخص هذا الجانب، إذ أصبح في الإمكان صناعة أكثر من نوع من اللباس وبمقاسات مقبولة ومناسبة عن ذي قبل؛ وكما هو معلوم أن استعمال أدوات المخيط تمكن من إنتاج ملابس من أكثر من قطعة، إضافة إلى جودة الصنع ودقته نوعاً ما.

كما ورد في السنة المطهرة أن ابن عباس رضي الله عنه قال: حج الرسول، صلى الله عليه وسلم، فلما أتى وادي عسفان قال: يا أبا بكر أي وادٍ هذا؟ قال: هذا وادي عسفان. قال: لقد مر بهذا (يقصد الوادي) نوح وهود وإبراهيم، على بكران لهم حمر، خطمهم الليف، أُزرهم العباء وأرديتهم النمار، يحجون البيت العتيق (ابن كثير، ١٩٨٥: ٩٣). وإذا علمنا أن إبراهيم عليه السلام عاش في بداية الألف الثاني قبل الميلاد (الأنصاري ١٤٢٢: ١٤)، وأن كلاً من نوح وهود عليهما السلام كانا قبل هذا التاريخ بفترة طويلة، فإنه يفهم من ذلك أن اللباس في تلك العصور يتكون من قطعتين هما الإزار والرداء.

إذاً، فإن ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال بعض المؤرخين والمفسرين يتوافق مع المكتشفات الأثرية الحديثة، إذ تشير بعض الدراسات المتخصصة إلى أنه خلال العصر الحجري القديم الأعلى (٤٠,٠٠٠ – ١٠,٠٠٠) سنة مضت، أنتج الإنسان القديم العديد من الابتكارات الفنية والتقنية التي ساعدته في تحسين أوضاعه الاقتصادية والمعيشية، ومنها: الخطاطيف والإبر والرؤوس المدببة، وأدوات الزينة المصنوعة من العظم والحجر والعاج كالقلائد والخرز والأساور وغيرها (الأمين ١٤٢٤: ٢٤). ولا شك أن بعض هذه المصنوعات قد ساعدت في إنتاج أنواع من اللباس بطرق وأشكال مختلفة وأكثر تطوراً من ذي قبل. كما استطاع الإنسان القديم في فترات لاحقة تعلم كيفية نسج اللباس وخياطته، وأخذ يطوّع مخلفات النباتات التي تمده بالمواد التي يستخدمها في صنعها، كما استفاد من المواد العضوية لبعض الحيوانات، لتمده هي الأخرى بالمواد الخام الأولية للغرض نفسه، ولا شك في أن هذا التطور البسيط في مجال اللباس استغرق آلاف السنين.

هذا، وتعد منطقة الدراسة، التي تشمل الوسط الشمالي من الجزيرة العربية وتضم مناطق حائل والجوف وتبوك (الخريطة: ١)، من المناطق الإستراتيجية في موقعها الجغرافي، فقد عرفت أرضها الاستيطان البشري منذ فترات زمنية مبكرة من العصر الحجري القديم، واستمر هذا الاستيطان بتفاعلاته الحضارية المختلفة حتى وقتنا الحاضر، وخير دليل على ذلك هي سلسلة المواقع الأثرية والتاريخية المتنوعة التي تحتضنها المنطقة والتي لا يتسع المجال للحديث عنها هنا؛ ومن بينها مواقع الرسوم الصخرية التي تعد في نظر الكثير من المتخصصين من

الخريطة ١: مناطق الدراسة.

أبرز المواقع وأهمها، ليس فقط على مستوى الجزيرة العربية، بل في منطقة الشرق الأدنى القديم.

وتظهر هذه الرسوم الصخرية العديد من أوجه النشاط البشري خلال فترات زمنية متعاقبة، ولا شك في أن المعلومات المستقاه منها ساعدت بشكل كبير في معرفة الكثير عن التاريخ الحضاري لمنطقة الدراسة وتفاعلاتها مع المراكز الحضارية المجاورة، ومن بين هذه المعلومات اللباس، محل اهتمام البحث، فقد أمكن من خلال هذه اللوحات الفنية معرفة جزء من هذا الإرث الإنساني القديم الذي قد لا نجده في أوعية ثقافية أخرى، وسيحاول البحث تسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال دراسة (١٥) لوحة رسوم صخرية، كعينة ممثلة للموضوع في منطقة الدراسة، ويسعى البحث إلى معرفة طبيعة اللباس المستخدم وأنواعه وطرق صناعته، خلال الفترة الزمنية للبحث، وما قد صاحبه من تأثيرات داخلية أو خارجية، وأي معلومات أخرى من شأنها أن تفيد وتثري هذا الجانب الاجتماعي والاقتصادي في الجزيرة العربية بشكل عام.

أولاً. وصف اللوحات:

تبين لوحات الرسوم الصخرية المختارة للدراسة بعض

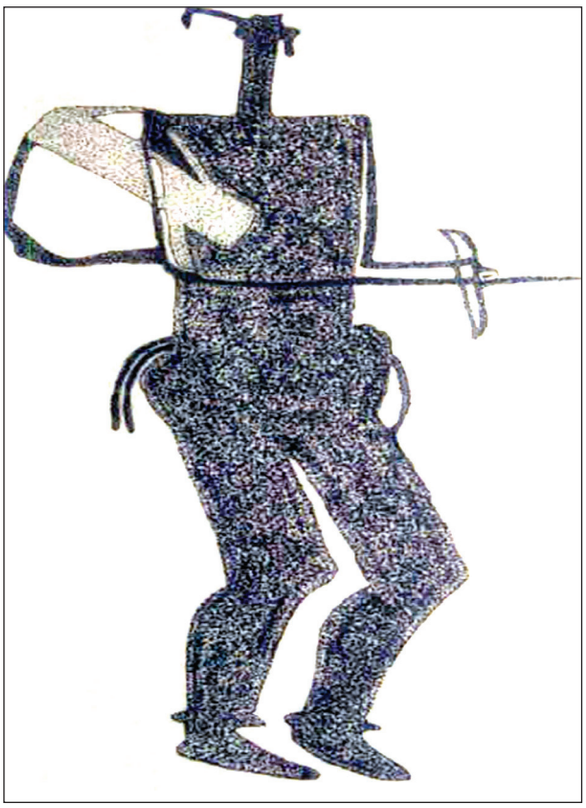

اللوحة ١: الدوسري، سارة فالح، ١٤٣٠هـ، لوحة ٢٦؛ السعود، عبدالله وآخرون، ١٤٢٧هـ، أطلال ١٩، شكل ١٧,١٧أ.

أشكال الملابس والمراحل التي مرت بها؛ إذ نجد خلال العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠- ٤٠٠٠ ق. م) أن بعض صور الأشكال البشرية كانت تظهر في حجمها الطبيعي، ولا شك أن هذه سمة فنية أتاحت للفنان القديم إظهار تفاصيل كثيرة، من ضمنها الملابس وبعض أدوات الزينة. وتبين اللوحة (١) من موقع جبه بمنطقة حائل (السعود ١٤٢٦: ١٣٣، لوحة ١٧،٧أ) رجلاً يتجاوز طوله المترين، نفذ بأسلوب واقعي وبطريقة النقر غير المباشر مع حك وتسوية السطح، وبنسب تشريحية متناسقة إلى حد ما.

ويظهر الشكل في اللوحة وهو يرتدي ما يشبه الرداء (القميص) على الجزء العلوي من الجسد، وسروال في الجزء السفلي، ويبدو السروال عريضاً نوعاً ما وينتهي إلى ما دون الكعبين، وفي منطقة الوسط يبدو ما يشبه الزوائد المتدلية للأسفل من الجانبين ربما أنها من أصل الرداء العلوي أو أنها تمثل حزاماً طويلاً له زوائد أو أربطة تتدلى منه يشد به اللباس السفلي، أما الحذاء فيغطي كامل القدم والكعبين كقطعة واحدة يعلوهما خلخالين دائريين. ويغطي الرأس من الأعلى ما يشبه القبّعة التي تنتهي بزوائد من أعلى ومن مقدمتها ومؤخرتها، ويحمل الشكل على كتفه الأيمن كنانة سهام أسطوانية الشكل ويمسك بقوس صغيرة في يده اليسرى.

وفي اللوحة رقم (٢) من الموقع نفسه (السعود ١٤٢٦: ١٣٣، لوحة ١٦، ٧أ)، يظهر شكل بشري، يشبه الشكل السابق من حيث طريقة التنفيذ والأسلوب الفني ونوع اللباس والنسب التشريحية للجسم، ويعرف هذا الشكل لدى سكان المنطقة باسم «الملك»؛ لارتدائه ما يشبه التاج فوق رأسه، وحمله لبعض أنواع الأسلحة، مثل القوس والرمح الطويل، وظهور أدوات الزينة على الصدر، والتي تبدو على هيئة قلادة دائرية الشكل بداخلها دائرة أصغر منها تحيط بالعنق.

وتظهر على وسط الجسم أربعة خطوط أفقية صغيرة

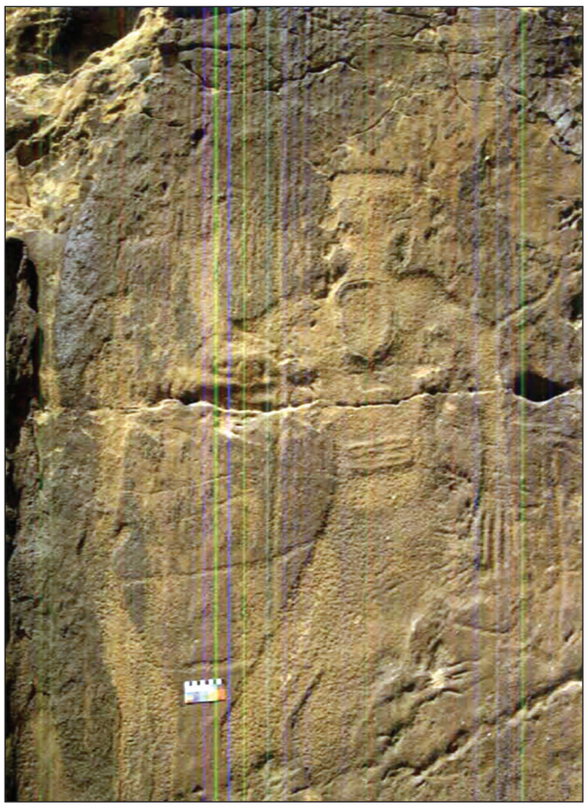

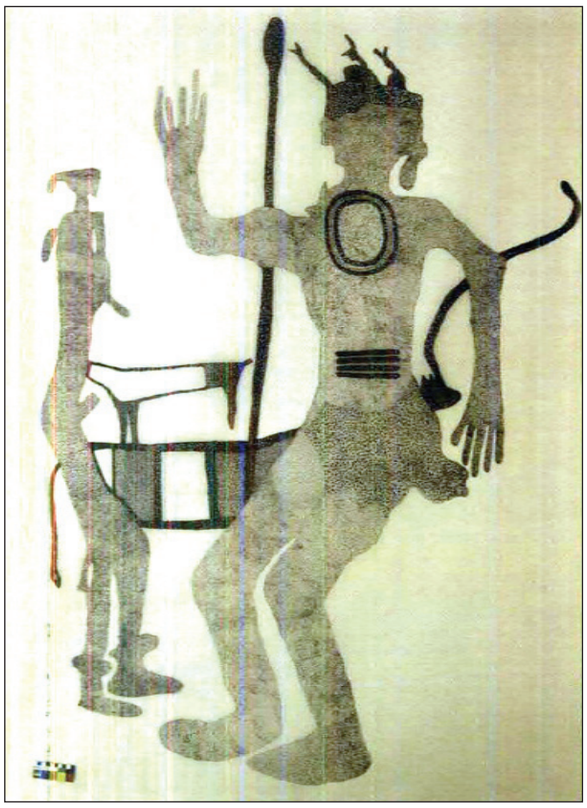

اللوحة ٢: السعود، عبدالله وآخرون، ١٤٢٧هـ، أطلال ١٩، شكل ١٦,٧أ.

اللوحة ٣: Abdulnayeen, M. 2000, fig. 175.

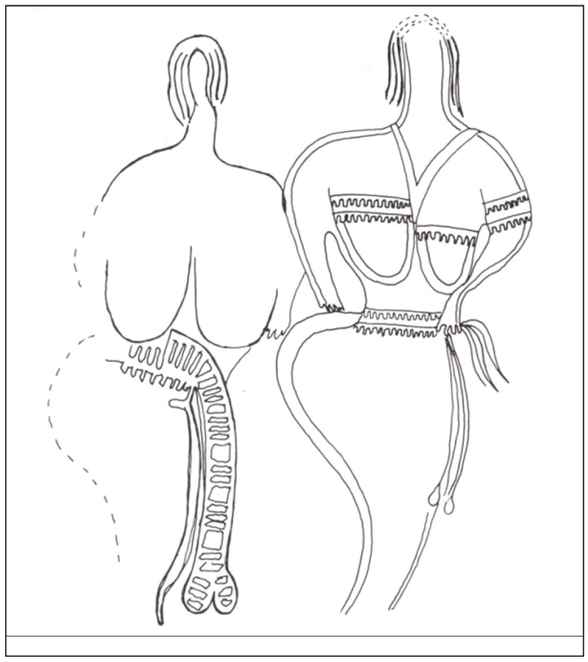

متوازية، وأسفل منها قطعة صغيرة معلقة على الجانب الأيسر من الجسم. كما يقف أمام هذا الشكل شكل آخر أقل حجماً ويرتدي رداءً يلف الجزء العلوي من الجسم ويصل إلى حد الكعبين، ويظهر بروز صغير بيضاوي الشكل من الجزء الأمامي بميل بسيط نحو الأعلى، وينتهي الشكل من أسفل بخلخالين دائريين فوق الكعبين وحذاء يغطي كامل الكعبين. تجدر الإشارة إلى أن الشكلان البشريّان نفذا فوق رسم ثور صغير وحيوان آخر غير واضح المعالم، ما يوحي بأنهما أحدث تاريخاً.

كما يظهر في اللوحة رقم (٣) من موقع جبة (Abdulnayeem, 2000:147, fig. 175)، نحتان لامرأتين نفذتا بالحجم الطبيعي وبأسلوب واقعي بطريقة النحت الغائر، ويظهر الشكلان بملابس طويلة فضفاضة تغطي كامل الجسم، ومزينة بزخارف في منطقة الصدر وعلى أحد الأذرع خطوط صغيرة متعرجة نفذت بشكل منتظم على صفين أفقيين. وترتدي كل امرأة حزاماً في منطقة وسط الجسم يتدلى من الأمام إلى أسفل الركبتين تقريباً، ويظهر أحد الأحزمة بزخارف عبارة عن صف من الأشكال

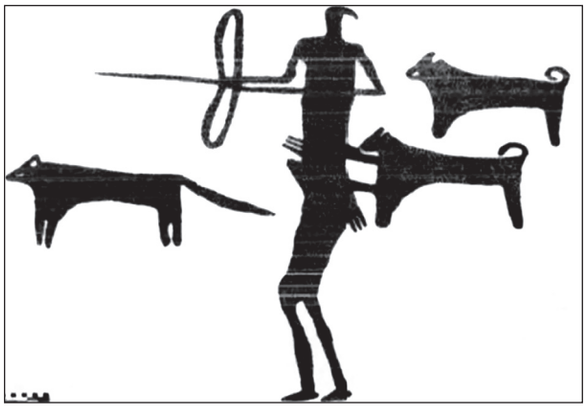

اللوحة ٤: السعود، عبدالله وآخرون، ١٤٢٧هـ، أطلال ١٩، شكل ٧,١٤أ.

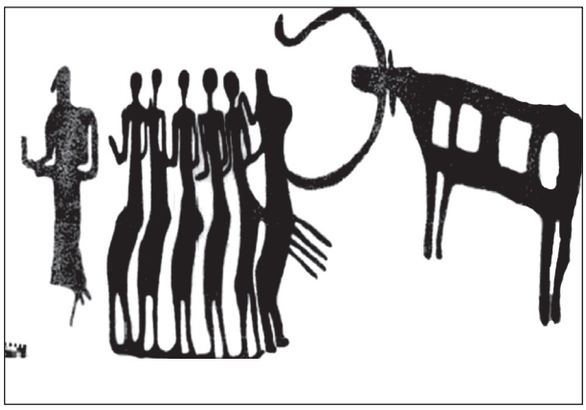

اللوحة ٥: السعود، عبدالله وآخرون، ١٤٢٧هـ، أطلال ١٩، شكل ٧,١٤أ.

الهندسية تمثل مربعات ومستطيلات غير منتظمة على كامل الحزام الذي ينتهي من أسفله بزائدتين دائرتين منفصلتين عن بعضهما بعضاً.

أما اللوحتان (٤ و٥) من موقع الشويمس الذي يبعد نحو ٣٢٠ كم جنوب غربي مدينة حائل (السعود ١٤٢٦: ١٣٣، لوحة ١٤، ٧أ)، فتُظهران مجموعة من الأشخاص يرتدون ملابس فيما يبدو أنها من قطعة واحدة تصل إلى الركبتين دون إظهار تفاصيل معينة، إلا أن ما يميزها هو وجود بروز بيضاوي صغير من وسط الجسم يتجه إلى الأمام بميل بسيط نحو الأعلى، وتظهر في بعض الأشكال زوائد على هيئة أشرطة أفقية تتجه نحو الخلف بميل طفيف للأسفل.

وفي اللوحة رقم (٦) من موقع جبة (Abdulnayeem, 2000:147, fig. 175)، السعود ١٤٢٦: ١٣٣، لوحة ١٧، ٧أ)، تظهر مجموعة من الأشخاص في مشهد يصور ممارسة طقس اجتماعي ربما يمثل زواجاً مقدساً، حيث تُظهر اللوحة ستة رجال وامرأة واحدة، وتبدو الملابس في هذه اللوحة بنوعين مختلفين، النوع الأول يماثل سابقه في اللوحات السابقة، والذي هو عبارة عن قطعة واحدة من اللباس تغطي كامل الجسم إلى حد الركبتين (الأشكال ١-٥)، ونلحظ أن الجزء السفلي من اللباس مزين بخطوط طولية متوازية في الجزء الأمامي من اللباس على الأقل وبخاصة في (الأشكال ١-٣)، كذلك تظهر بعض الخطوط الأفقية الصغيرة والقصيرة في صفين متوازيين، الأول يظهر في منطقة وسط الجسم، والآخر يعلوه بقليل. ويبرز من وسط الجسم من الأمام بروز بيضاوي صغير يتجه إلى الأمام بميل طفيف نحو الأعلى كما في اللوحات السابقة، كما تتزين الأشكال بقلائد بيضاوية الشكل في منطقة الصدر، يبدو أنها معلقة بخيط رفيع يحيط بالرقبة، وترتدي الأشكال أيضاً أحذية تغطي كامل القدمين، ويعلو (الشكلين ٢ و٣) خلخالان دائريان.

أما النوع الثاني من اللباس في هذه اللوحة، فيظهر فيما يبدو لامرأة (الشكل ٦)، إذ يتضح ذلك من منطقة الوسط الممتلئة بشكل مبالغ فيه، وهي ترتدي في الجزء العلوي من الجسم قميص تزينه قطعة جمالية مضافة مستطيلة الشكل، أما الجزء السفلي فيظهر سروالاً طويلاً، وينتعل الشكل حذاءً يغطي كامل القدمين. أما الشكل الأخير (الشكل ٧) فيظهر أنه يمثل رجلاً ذا أهمية، ويتبين ذلك من كون جميع الأشكال تتجه نحوه في صف واحد، ويرتدي هذا الشكل فيما يبدو رداءً في الجزء العلوي وسروالاً في الجزء السفلي، مع وجود بروز بيضاوي صغير في وسط الجسم يتجه نحو الأمام.

أما فيما يتعلق بالملابس في الفترة الزمنية التي تلت العصر الحجري الحديث، والتي تشمل العصور النحاسية والبرونزية والحديدية، والتي يطلق عليها مجازاً فترة «ما بعد العصر الحجري الحديث»، فإننا نجد أن بعض الرسوم الصخرية أصبحت تقل في إيضاح طبيعة الملابس خلال هذه الفترة الزمنية، ولعل ذلك يعود إلى الأساليب الفنية التي اُنتهجت خلالها. فقد استخدمت الأساليب الفنية التخطيطية التجريدية والعودية التي قد لا تعطي وضوحاً في نوع بعض الملابس وشكلها أو حتى أدوات الزينة المستخدمة، وذلك مقارنة بالأسلوب الواقعي وشبه الواقعي

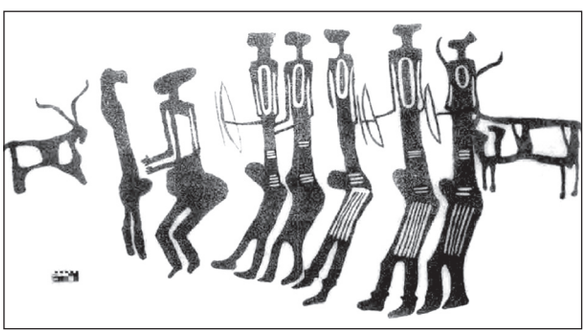

اللوحة ٦: Abdulnayeen, M. 2000, fig. 162، **السعود، عبدالله وآخرون، ١٤٢٧هـ، أطلال ١٩، شكل ٧,١٧ ب.**

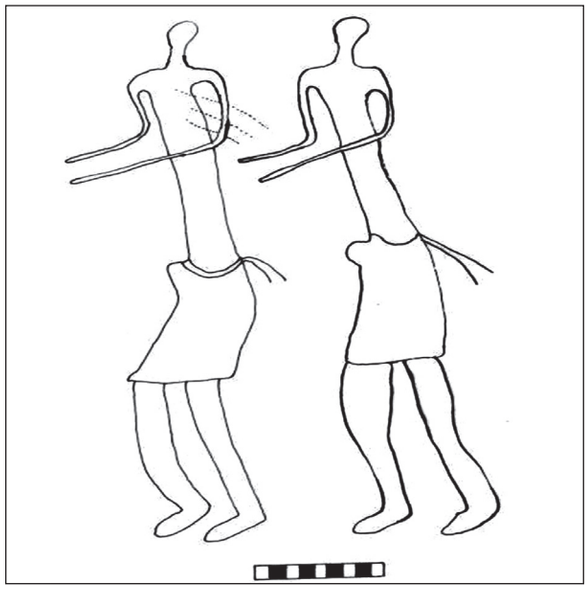

اللوحة ٧: الرويسان، سعد، ١٤٣٢هـ، «موقع جثا بمنطقة حائل»: ٣٥.

الذي استخدمه فنانو العصر السابق ما يعطي مساحة في تبيان تفاصيل دقيقة نوعاً ما للأشكال المنفذة. إلا أن ذلك لا يمنع استمرار استخدام بعض أنواع الملابس في الفترات اللاحقة لفترة العصر الحجري الحديث، وإن لم يظهر بعضها جلياً في رسومات هذه الفترات الزمنية.

وإذا نظرنا إلى اللوحة (٧) من موقع جثا على بعد نحو ٣٤٠ كم جنوب غربي مدينة حائل (الرويسان ١٤٣٢: ٣٥)، يظهر شكلان بشريان نفذا بطريقة النقر غير المباشر مع حك السطح وتسويته، وبأسلوب شبه واقعي وبنسب تشريحية غير متناسقة إلى حد ما. يرتدي الشكلان ما يشبه الرداء الطويل الذي يصل إلى ما دون الركبتين بقليل، بحيث يغطي كامل الجسم ما عدا الذراعين، وفي منطقة وسط الجسم يبدو بروز دائري صغير إلى الأمام قد يكون جزءاً من حزام يشد به الرداء، أو عنصراً زخرفياً، أو جراباً للعضو الذكري.

وفي موقع جبة بمنطقة حائل تظهر اللوحة (٨) المؤرخة إلى العصر النحاسي (كباوي وآخرون ١٤٠٩: ٨٩)، مجموعة من الأشكال البشرية ترتدي ملابس متنوعة ومختلفة، إلا أن القاسم بين كثير منها لبسها الرداء والسروال. وهناك شكل بشري ضمن هذه المجموعة (الشكل ٦) يظهر وهو يرتدي ما يشبه السروال القصير الذي يغطي منطقة العورة فقط، فيما ظلت منطقة الصدر عارية إلا من قلادة صغيرة دائرية الشكل فيما يبدو معلقة بخيط رفيع يحيط بالرقبة.

أما (الشكل ٧) في هذه اللوحة فيظهر وهو يرتدي لباساً يغطي منطقة العورة فقط، إلا أنه يختلف عن الشكل السابق (الشكل ٦) في نوع المادة الخام التي صنع منها، وفيما يبدو أنها مصنوعة من شعر أو صوف الحيوانات المنسوج بطريقة غير جيدة، حيث تظهر بخطوط طولية بارزة عن مستوى الجسم وبشكل نصف دائري يصل إلى منتصف الفخذين من الخلف بطريقة غير منتظمة، كما يرتدي هذا الشكل البشري قلادة أو خرزة صغيرة دائرية الشكل يبدو أنها معلقة بخيط رفيع يحيط بالرقبة.

وفي موقعي وادي البقار ووادي بجدة بمنطقة تبوك تظهر الأشكال البشرية في اللوحات (٩، ١٠، ١١، ١٢) وهم يرتدون لباساً مكوناً من قطعتين هما الرداء والسروال الطويل. ويبدو أن أسلوب صنع الرداء يعد أكثر تطوراً من سابقيه، إذ يظهر فيه نوع من الزخارف البسيطة في أعلى الرداء، عبارة عن جزء مضاف على شكل نصف دائري يُعبّر عن فتحة الرقبة التي يلج منها الرأس، مشكِّلة بذلك عنصراً جمالياً للقميص، كما أن الذراعين ينتهيان بزوائد صغيرة تتمثل في خيوط من أصل اللباس تتدلى للأسفل.

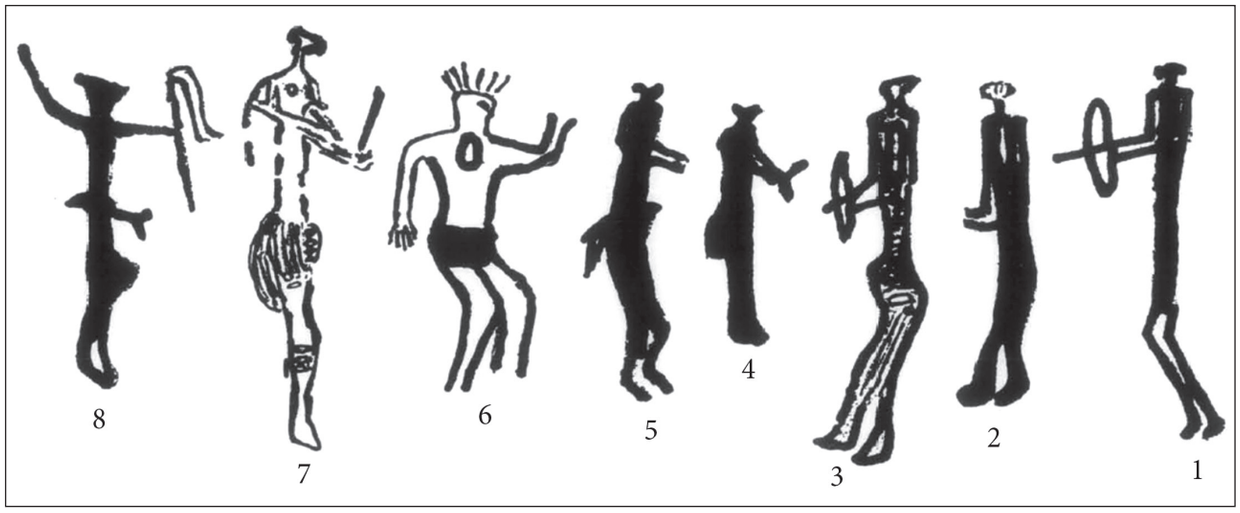

اللوحة ٨: كباوي، عبدالرحمن وآخرون، ١٤٠٩هـ، أطلال١١، شكل ٥٣.

اللوحة ٩: Abdulnayeen, M. 2000, fig. 26.

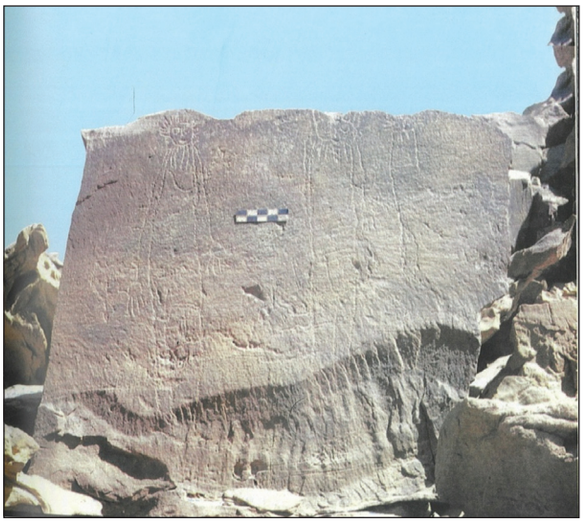

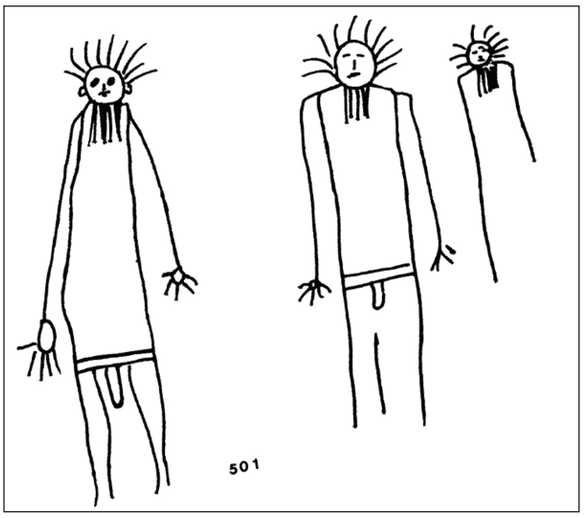

اللوحة ١٠: خان، مجيد، ١٩٩٣م، لوحة ٧٧.

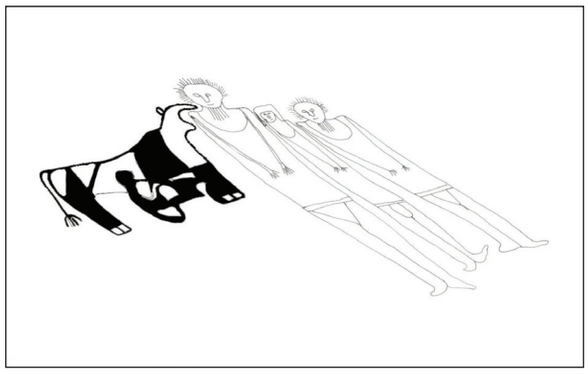

اللوحة ١١: Abdulnayeen, M. 2000, fig. 25.

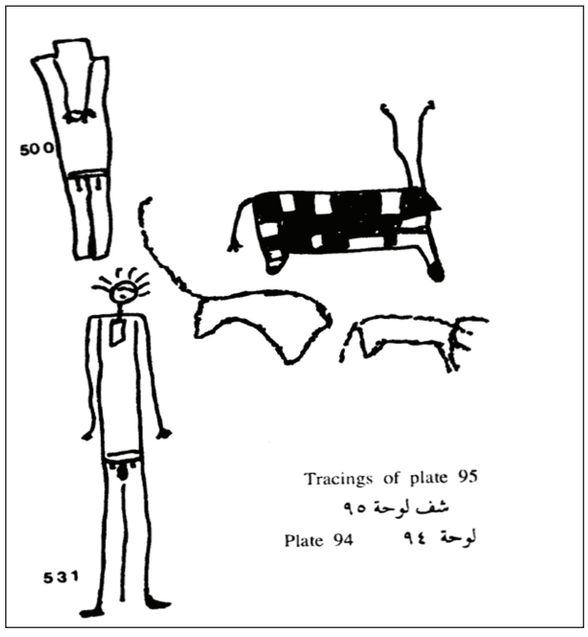

اللوحة ١٢: مجيد خان، ١٩٩٤م، شكل ٩٤، ٩٥.

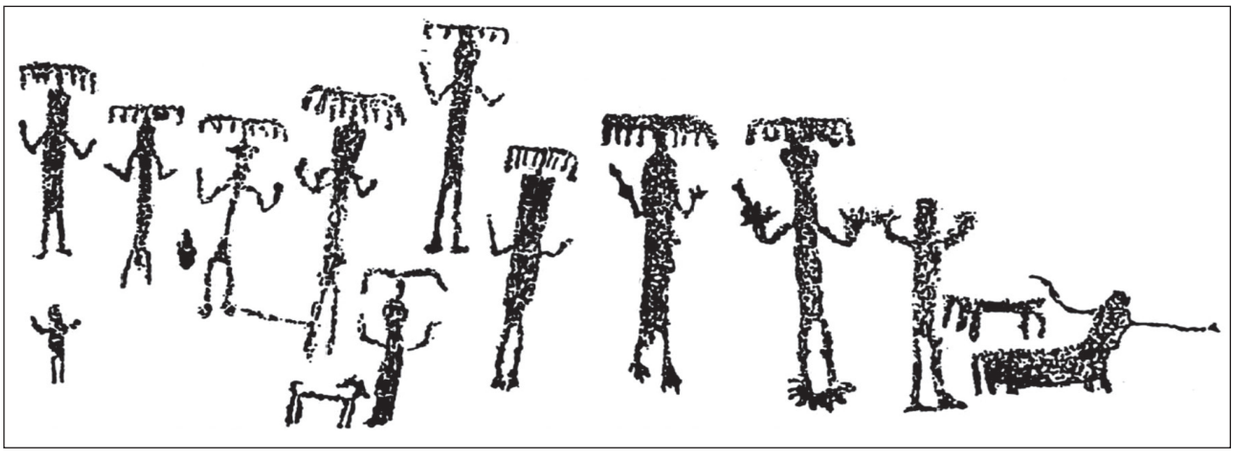

اللوحة ١٣: عبدالنعيم، محمد، ١٤١٦هـ، شكل ١٨:٤؛ كباوي، عبدالرحمن وآخرون، ١٤٠٦هـ، أطلال١٠، شكل ٨٧.

أما السروال، فيظهر بخطين أفقيين متوازيين من أعلى ليعبر عن الحزام الذي يثبت به السروال في منطقة الوسط، ويبدو من الأمام جراب مخروطي الشكل في الجزء العلوي من السروال يوحي بأنه مخصص للعضو الذكري مشكِّلاً بذلك عنصراً جمالياً أيضاً. وتؤرخ اللوحة (٨) إلى العصر النحاسي، واللوحة (٩) إلى العصر البرونزي مابين (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، بينما تعود اللوحتان (٦٤، ٦٥) إلى العصر النحاسي (خان ١٤١٤: ١٩١-١٩٢، Abdulnayeem 2000: 60).

وفي اللوحة (١٣) من منطقة الجوف، تظهر عدد من الأشكال البشرية بعضها يمثل نساء بملابس مختلفة، يرتدي بعضها ملابس من قطعة واحدة تصل إلى الركبتين تقريباً، وبعضها الآخر يظهر وهو يرتدي قطعتين الأولى رداء في الجزء العلوي من الجسم والثانية سروال طويل في الجزء السفلي، ويبدو أن جميع الأشكال في اللوحة تنتعل حذاءً في كلتا القدمين. وتؤرخ هذه اللوحة إلى العصر النحاسي (عبدالنعيم ١٤١٦: ٢٦٠).

أما اللوحتان (١٤، ١٥) من منطقة تبوك، والمؤرختان إلى العصر النحاسي (Khan 2007: 122, Abdulnayeem 2000: 63, 91)، فقد نفذت الأشكال بأسلوب إطاري من دون تفريغ الأجزاء الداخلية، والذراعان غير واضحان وبأرجل قصيرة وبخاصة اللوحة (١٤). وربما أن الفنان أراد أن يعطي من خلال هاتين اللوحتين صفة خاصة لهذه الأشكال حتى من ناحية نوع اللباس الذي ترتديه، وإن كان نوعيته غير واضحة إلا أنه قد يكون عبارة عن رداء طويل على هيئة عباءة توضع على الكتفين وتنسدل على بقية أجزاء البدن، بحيث تبقي الذراعين والقدمين بداخلها.

ثانياً. الدراسة التحليلية:

إذاً، يتبين من خلال الوصف السابق للوحات المختارة لدراسة الملابس أن هناك تنوعاً ملحوظاً فيما يخص هذا الجانب، سواءً ما يخص تقنية الشكل أو الوظيفة أو مادة الصنع، وهذا بالتالي ينعكس على مدى ما وصل إليه إنسان الجزيرة العربية القديم من تقدم حضاري وثقافي وفني مواكباً بذلك تطورات عصره ومتطلباته.

تصنيف اللباس:

يمكن تصنيف الملابس حسب الشكل إلى أربعة أنواع رئيسة، هي:

١. قطعتان من اللباس عبارة عن رداء (قميص)، وسروال طويل، كما في اللوحات (١، ٢، ٦ شكل ٦-٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢).
٢. قطعة واحدة من اللباس تغطي كامل الجسم، كما في اللوحات (٣، ١٤، ١٥).
٣. قطعة واحدة من اللباس تغطي كامل الجسم إلى حد

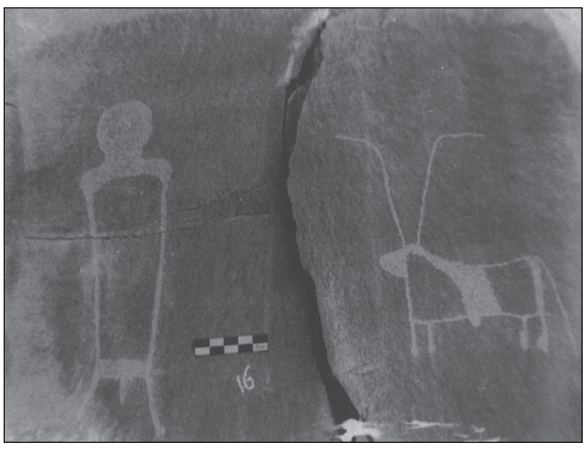

اللوحة ١٤: Khan, M. 2007, fig. 252.

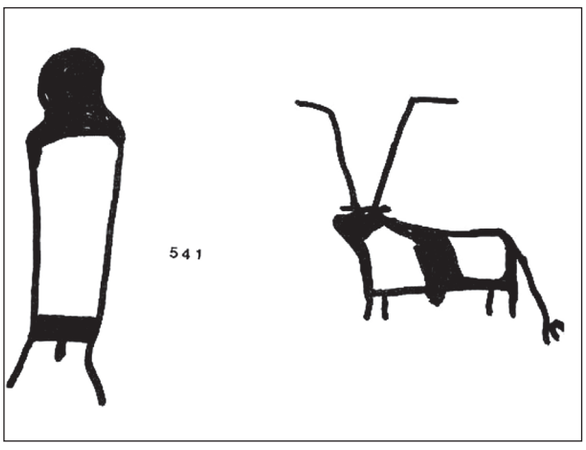

اللوحة ١٥: Abdulnayeen, M. 2000, fig. 90.

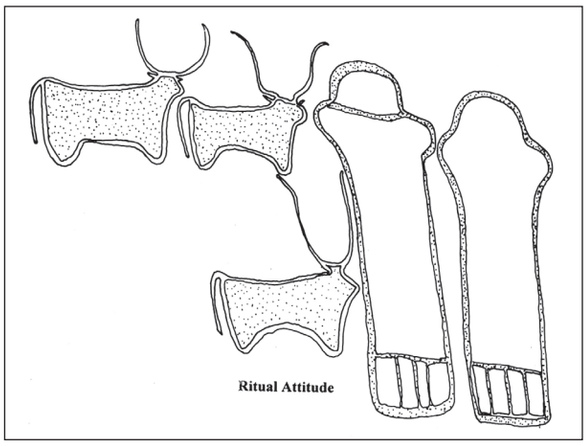

الركبتين، كما في اللوحات (٤، ٥، ٦ شكل ١-٥، ٧، ١٣).

٤. قطعة واحدة من اللباس عبارة عن سروال قصير يغطي منطقة العورة، كما في اللوحة (٨ شكل ٦-٧).

أنواع اللباس:

أما من ناحية أنواع الملابس حسب الأغراض التي استخدمت من أجلها، فيمكن تقسيمها إلى خمسة أنواع رئيسة، هي:

لباس المعبودات:

نفذ الإنسان القديم أشكالاً تمثل المعبودات بطريقة مغايرة عن الأشكال البشرية الأخرى، وذلك في اللوحتين (١٤، ١٥)، ولم تسمح هذه الطريقة استبيان نوع أو شكل اللباس الذي ترتديه تلك الأشكال. ويغلب على الظن أن هذه الأشكال المنفذة تمثل المعبودات لدى المجتمع بشكل عام، والإنسان الذي قام بتنفيذها بشكل خاص، فكان من المفترض منه إلا أن يصورها في أفضل حال سواء في طريقة التنفيذ أو فيما ترتديه، وأن يخرجها بصورة تعكس معتقده وفكره، وبما يتلاءم مع منهجه ومنهج مجتمعه تجاه ما يعتنقونه من ديانة وطقوس وشعائر، وما يمكن أن تقدمه تلك المعبودات لهم تجاه هذا التقديس.

لذا، نجد أن الفنان نفذ تلك الأشكال وهي ترتدي فيما يغلب على الظن عباءة طويلة تغطي كامل الجسم، كما أن عدم إيضاح تفاصيل الوجه يوحي بأنه قد يكون مغطى بلباس معين يعطي صفة الهيبة والتبجيل.

وقد عُثر على لوحات رسوم صخرية تتشابه مع هذه اللوحات من حيث طريقة التنفيذ وأسلوبه، وشكل اللباس والفترة الزمنية، وذلك في موقعَي وادي بجدة ووادي البقار بمنطقة تبوك، تؤرخ إلى العصر النحاسي (خان ١٤١٤: لوحة ٨٩أ، ٩١ب، ٩٢أ). كما عثر على رسوم مماثلة في موقع «أبا البيبان» بجبل اللوز في المنطقة نفسها (الأنصاري ١٤٢٣: ١٢٣، لوحة ٣٣).

أما في اللوحات (٩، ١٠، ١١، ١٢)، فتظهر مجموعة من الأشكال التي تمثل المعبودات وهي ترتدي ملابس مكونة من قطعتين؛ الأولى تمثل رداء بياقة نصف دائرية، والثانية سروال طويل. ويبدو منها أن اللباس مصنوع من مادة خفيفة أقرب ما تكون إلى الكتان المخيط بطريقة جمالية وفنية رائعة. وقد يكون هذا النوع من اللباس مقتصراً على منطقة تبوك، إذ لم يُعثر حتى الآن على رسوم صخرية مماثلة في الجزيرة العربية.

ب. لباس المناسبات:

يقصد بذلك الملابس التي يرتديها الإنسان أثناء قيامه أو مشاركته في مناسبة عامة تهم المجتمع. ومن ذلك

حفلات الرقص والزواج وممارسة الطقوس الدينية ونحوها. وكما يظهر في اللوحات (٤، ٥، ٦) أن هناك نوعاً خاصاً من اللباس يرتديه الإنسان القديم، ويكون من النوع الجيد صنعاً وشكلاً، وربما المادة المصنوعة منه.

وإذا نظرنا للوحة (٦)، التي تؤرخ للعصر الحجري الحديث، فإن الأشكال المنفذة تظهر في مشهد أقرب ما يكون مشهد زواج، وتبدو الأشكال (١-٣)، بملابس متقنة الصنع وجيدة الشكل، والملابس التي ترتديها هذه الأشكال من نوع يسمى النمار الذي ورد في حديث ابن عباس السابق الذكر، وهو رداء يتم صناعته من الصوف، ويتم تزيينه بخطوط بيضاء وسوداء (ابن كثير ١٩٨٥: ٩٣). ولعل الإنسان الذي قام بتنفيذ هذه اللوحة أراد أن يعطي صورة عن طبيعة اللباس الذي يتم ارتداؤه في هذه المناسبة، ولا شك أن مناسبات الزواج لها خصوصيتها، من حيث انتقاء أفخر ما لدى الإنسان من ملابس وأجودها، كما هو الحال في وقتنا الحاضر.

أما اللوحة (٤)، فتظهر شخصين يرتديان رداء يغطي كامل الجسم، ويصل إلى حد الركبتين، ويثبت بحزام في منطقة الوسط.

وقد عثر في الجبل الأخضر بعمان على رسوم صخرية لأشكال بشرية ترتدي ملابس مكونة من قطعتين؛ الأولى رداء يغطي الصدر والبطن، والثانية إزار يصل إلى حد الركبتين، وتؤرخ الأشكال إلى العصرين البرونزي والحديدي (Abdulnayeem 2000: 424, fig. 15).

كذلك يظهر في اللوحة (١٣)، عدد من النساء في حالة رقص جماعي وقد ارتدين لباساً من قطعة واحدة يصل إلى حد الركبتين، وعلى الرغم من بساطة هذا اللباس حيث أنه لا يعطي أي تفاصيل زخرفية أو جمالية، إلا أنه قد يعبر عن الزي الذي كان يستخدم في الرقص وإحياء الاحتفالات العامة التي يشترك فيها أفراد المجتمع.

كما يلاحظ أن الراقصات في هذه اللوحة قد وضعن فوق رؤوسهن أغطية مسطحة، تتدلى منها أشرطة على هيئة أسنان المشط، ويمثل هذا الغطاء في حقيقته نوعاً من الشعر المستعار الذي يتم تجهيزه ولبسه في المناسبات الاحتفالية، وهذا الغطاء عبارة عن حلقة دائرية تصنع من الحبال المبرومة وتتدلى منها شرائط طولية من الخلف والجانبين وبعضها قد يتم تزيينه بالألوان أو خرز من الفضة أو الأحجار الملونة. وقد استعملته النساء في الجزيرة العربية حتى وقت قريب (عباس ١٤٢٥: ١٢٨). كما استعمل هذا الغطاء في مصر الفرعونية، إذ استخدمته النساء في الرقص في الحفلات والأعياد (مختار: ٣). ولعل هذا التقليد يوحي بمعتقد اجتماعي لمناسبة معينة.

لباس الصيادين:

بينت اللوحات (١، ٢، ٦)، واللوحة (٧ شكل ١، ٣-٤)، واللوحات (٢٠-٢٦)، واللوحات (٣٧- ٤٢)، مناظر لأشخاص أثناء الصيد، وهم يرتدون ملابس خاصة ويحملون أسلحة مختلفة، وقد تكونت ملابسهم من نوعين؛ إما الرداء الذي يغطي منطقة الصدر والبطن ما عدا الذراعان، والسروال الطويل الفضفاض، أو الإزار الذي يغطي العورة ويصل إلى حد الركبتين، المماثل للباس المصري القديم أو ما يعرف بالنقبة. وقد صنعت الملابس فيما يبدو من الجلد المخيط بصورته البسيطة نوعاً ما، وكذلك الكتان.

ولعل هذا النوع من اللباس يعد مناسباً للشخص الذي يقوم بالصيد، فهو يساعده على خفة الحركة ومرونتها، والتنقل بسلاسة وسهولة أثناء ملاحقة الطريدة إن لزم الأمر، ولا شك أن هذه الأمور تتطلب لباساً خاصاً تساعد الصياد على إنجاح مهمته.

وقد عُثر في عدد من المواقع في الجزيرة العربية على أشكال بشرية مختلفة تماثل اللوحات السابقة، تعود إلى الفترة الزمنية للدراسة، إذ عثر في موقع جبة على أشكال ترتدي ملابس تغطي الجسم، ومزينّة بزخارف في الوسط وفي منطقة الصدر. كما أن بعض الملابس خصص جراباً لعضو التذكير، وتحمل الأشكال أحياناً أنواعاً مختلفة من الأسلحة، مثل: السهام، والأقواس، والرماح، والعصي المعكوفة (بار ١٤١٨: لوحة ٢٨ج، ٢٩أ، ٣٠ب)

وفي جنوب غربي الجزيرة العربية، وتحديداً في موقع

بير حما بمنطقة نجران، عُثر على رسوم صخرية أرخها يوريس زارينس إلى فترة الصيادين والرعاة (من العصر الحجري الحديث إلى فترة متأخرة من الألف الثانية قبل الميلاد)، تحوي أشكالاً بشرية تضع أغطية على رؤوسها تحمل زخارف متقنة الصنع، وعلى صدورها نوعاً من القلائد والعقود والأطواق والخلاخيل في الأرجل، ويغطي جسدها نوعاً من الفراء القصير، وبعض هذه الأشكال يحمل أسلحة تتمثل بالرماح والتروس (الدروع) والخناجر والأقواس والسهام، وبعضها الآخر يشبه العصي المعكوفة (زارنيس ١٤٢٤: ٣٥، لوحة ٣٤، ٣٥أ). كما عثر في بيشة ونجران على رسوم صخرية تمثل رجالاً يرتدون قطعتين من اللباس يمثلان رداء مزخرفاً وسروالاً طويلاً، ويضعون على رؤوسهم ما يشبه الغطاء ذي الزوائد المرتفعة للأعلى، وتؤرّخ الأشكال إلى العصرين البرونزي والحديدي (Khan 2007: 34. fig. 13, 16, 35)

لباس العامة:

يعد لباس العامة من الناس لباساً بسيطاً خالياً من أي تعقيد أو نواحٍ جمالية أو كلفة في مادته وصناعته، وكما تبين اللوحة (٨ شكل ٦-٧)، أن اللباس عادة ما يتم صناعته من مواد بسيطة مثل الجلود التي لا يتم دباغتها دباغة جيدة، وإنما يتم تحضيرها بطريقة تلبي الغرض منها فقط كستر العورة والحماية من الأحوال المناخية وتقلباتها.

كذلك هناك لباساً يتم صناعته من صوف أو شعر الحيوانات مثل الجمال أو الأغنام ونحوها، حيث يتم نسجه بصورته البسيطة للأغراض ذاتها سابقة الذكر.

وكما هو واضح من خلال اللوحتين أعلاه، أن اللباس عبارة عن سروال قصير وصغير يغطي منطقة العورة فقط، ويبدو من خلال تنفيذه أنه بسيط في صناعته ووظيفته (اللوحة ٧ شكل ٦- ٧). أما بقية الأشكال في هذه اللوحة وكذلك اللوحة (١٠) فترتدي اللباس المكون من قطعتين هما الرداء والإزار، أو الرداء والسروال الطويل، أو قطعة واحدة تصل إلى حد الركبتين.

هـ. لباس المرأة:

لا شك أن المرأة هي الأكثر تميزاً من الرجل فيما يخص اللباس والتجمل، وذلك منذ أن خلقها الله سبحانه وتعالى وحتى وقتنا الحاضر، حيث تتميز المرأة بخصوصية جُبلت عليها ولعل أبرزها مسألة اللباس والزينة. لذلك، نجد أن الفنان القديم عندما قام بتنفيذ رسوماً صخرية تمثل النساء حاول - بقدر المستطاع - أن يبرز معظم ما تتمتع به المرأة من ميزات متعددة، مثل: اللباس، والزينة، وتفاصيل الجسم، ونحوها.

ونجد في اللوحة (٣)، المؤرخة إلى العصر الحجري الحديث، شكلين يمثلان امرأتين بملابسهما الكاملة، ويتبين أن اللباس مكون من قطعة واحدة تمثل ثوباً فضفاضاً يغطي كامل الجسم، وهو مزيّن بزخارف في منطقة الصدر والوسط، وأشرطة تتدلى للأسفل على جانبي اللباس تصل إلى ما دون الكعبين.

ولا شك أن اهتمام الإنسان القديم برسوم المرأة وبخاصة بهذا الحجم الذي يتجاوز طوله ١٨٠ سم، وإظهار تفاصيل معبرة للباس وأدوات الزينة والزخارف المضافة، وكذلك المهارة في تنفيذ الشكل بنسب تشريحية متناسقة، كل ذلك يوحي بأهمية الشكل المنفذ، إذ يعتقد أن الرسم يمثل آلهة عبدها المجتمع الذي قام أحد أفراده بتنفيذها، وقد عثر في بعض المواقع على رسوم صخرية تجسد هذه الحالة مثل موقع جبل أم سنمان بجبة، إذ تظهر رسوم المرأة بكامل زينتها من ملابس وأدوات زينة (الدوسري ١٤٣٠: ٧٨، لوحة ٤).

كما عثر في مواقع عدة من جنوب غربي الجزيرة العربية على رسوم صخرية تجسد فيها المرأة وهي بملابس وأدوات زينة كاملة، إذ عثر في منطقة نجران على لوحة رسوم صخرية تمثل امرأة في كامل زينتها وترتدي لباساً طويلاً فضفاضاً وأدوات زينة عبارة عن عقود وقلائد وأسوار؛ وتؤرخ اللوحة إلى فترة ما قبل الإسلام (Abdulnayeem 2000: 274, fig 39).

تجدر الإشارة إلى أنه لا توجد نماذج واضحة لملابس

النساء مماثلة للوحة (٣)، من ناحية الشكل والتفاصيل الزخرفية؛ إذا استثنينا الأشكال في اللوحة (١٣)، والتي تُظهر عدداً من النساء في حالة رقص، وهنّ يرتدين لباساً مكوناً من قطعة واحدة تصل إلى حد الركبتين. إلا أن ذلك لا ينفي استمرار استخدام الملابس الجميلة والمزخرفة كما في اللوحة (٣)، في فترة الدراسة والفترات اللاحقة. إن معرفة الإنسان القديم لهذه الأنواع الجيدة من الملابس من ناحية الشكل والتصميم والصنع في العصر الحجري الحديث يعطي إشارة إلى استمراريتها في الفترات اللاحقة، وإن لم تظهر في الرسوم العائدة لفترة الدراسة بشكل واضح.

مادة صنع اللباس:

لا يزال هناك قصور في معرفة طبيعة المواد التي صنع منها اللباس خلال تلك الحقب الزمنية من التاريخ الإنساني القديم، إذ لا يوجد دليل مادي قوياً يمكن من خلاله التعرف على نوع اللباس ومكوناته وطرق صناعته وغير ذلك من المعلومات المهمة؛ إلا أنه يمكن القول أن الإنسان القديم في الجزيرة العربية وبقية أنحاء العالم خلال العصور الحجرية كان يعتمد اعتماداً كلياً على ما تنتجه الطبيعة من مواد خام، ومن ذلك مخلّفات الحيوانات والأشجار التي يتغذى عليها، فقد قام بتسخيرها والإفادة منها فيما يخدم حياته الخاصة ومن ثَمَّ مجتمعة.

ومن خلال ما تمت دراسته من لوحات رسوم صخرية في هذا البحث، فإنه يمكن الافتراض أن اللباس كان يتم صناعته من المواد الآتية:

الجلد:

تظهر اللوحات (١، ٢، ٢١) أشكالاً بشرية وهي ترتدي ملابس صنعت فيما يغلب على الظن من الجلود، ويتبين ذلك من خلال تركيبة اللباس والغرض منه، ويبدو أن هذه المادة تعد أولى المواد التي استخدمها الإنسان القديم في صناعة ملابسه بعد أوراق الأشجار والنباتات.

وتعد الجلود مادة متينة ومرنة، تؤخذ من بعض أنواع الحيوانات، ويطلق على عملية تحويل جلد الحيوان إلى منتج الدباغة. وتبدأ الدباغة في طرقها القديمة بإزالة طبقة اللحم الملتصقة بفرو الحيوان، ثم يتم نزع الشعر أو الصوف كليًا أو جزئيًا، ثم يتم تجفيف الجلد حتى لا يتعفن، بحيث يوضع عليه شيء من التراب أو الرماد أو الملح (رشاد ٢٠٠٧: ١٢٦).

وقد لوحظ عند بعض المجتمعات البدائية المعاصرة مثل قبائل الفوجا في وسط أثيوبيا، أنهم يقومون بتنظيف الجلود مستخدمين المكاشط الحجرية المصنوعة من حجر الأوبسيد (الزجاج البركاني)، وذلك بتثبيت اثنتين من المكاشط في مقبض خشبي بواسطة مادة لاصقة تستخرج من بعض الأشجار المحلية؛ وعلى سبيل المثال، فإن عملية تنظيف جلد البقر لدى هذه القبائل يستغرق من ٨-١٠ ساعات (الأمين ١٤٢٩: ١١٤-١١٥).

ولا شك أن الإنسان القديم قد مر بتجارب عديدة حتى وصل في نهاية الأمر إلى معرفة تامة بعملية دباغة الجلود وإنتاج ملابسه منها. ومن المرجّح أن صناعة الملابس من جلود الحيوانات في منطقة الدراسة قد اعتمدت أساسًا على جلود بعض الحيوانات، مثل: الجمال، والأبقار، والأغنام، والوعول، والغزلان، وغيرها من الأنواع التي تتوافر في البيئة الطبيعية ويصطادها الإنسان، كما يظهر ذلك في الرسوم الصخرية.

الصوف:

تظهر اللوحة (٦ شكل ١-٣)، أشكالاً بشرية ترتدي ملابس مكونة من قطعة واحدة تحوي زخارف طولية عبارة عن خطوط أفقية متوازية، وفيما يبدو أن هذا النوع من اللباس مركب من أكثر من نوع، حيث أن ظهور هذه الخطوط الدقيقة والمنتظمة ربما يدل على استخدام الغزل والنسيج في صناعتها.

كما يظهر في اللوحة (٨ شكل ٧)، تحديداً، شكل آدمي يرتدي فيما يغلب على الظن إزاراً قصيراً يغطي منطقة العورة فقط، مصنوع على الأرجح من صوف أو شعر الحيوانات، ويتبين ذلك من شكل اللباس غير المنتظم.

وتقوم عملية صناعة الملابس من هذه المادة على جزّ الصوف أو قصّه ثم غزله بواسطة المغزل، ثم تجمع الخيوط من المغزل ليتم نسجها بواسطة النول. وإذا كان الإنسان في فترة الدراسة قد اعتمد على جلود بعض أنوع الحيوانات في صناعة الملابس، فإنه من دون شك قد استفاد من أصوافها وأشعارها في صناعة الملابس.

ومن المرجّح أن الإنسان قد عرف الغزل والنسيج في العصر الحجري الحديث، إذ هيأت الظروف الاقتصادية للإنسان حياة أكثر رقيًا من النواحي الاجتماعية والعقائدية والاقتصادية. وترتبط معرفة الإنسان للغزل والنسيج بمعرفته للبناء والسكن، ومن ثم الاستقرار في مبان شيدها بنفسه بعد حياته في الكهوف والمغارات في العصور السابقة (الباشا ١٤٢١: ٩٧). ولا شك أن هذه التقنية الصناعية المتمثلة بالغزل والنسيج قد استمر استخدامها في الفترات اللاحقة، وشهدت قطعاً تطوراً في طرق الصناعة، ومن ثَمَّ تعدد في المنتجات، وذلك تماشياً مع تطور ثقافة الإنسان وتزايد خبراته الحياتية والفكرية.

الكتان:

تبين اللوحات (٧، ٩، ١٠) عدداً من الأشكال البشرية وهي ترتدي ملابس مصنوعة من مادة الكتان، ويتضح ذلك من رقتها وجمالية حياكتها وتناسقها على النسب التشريحية للجسم.

ويعد الكتان من النباتات الحولية الزيتية التي تنتمي إلى الفصيلة الكتانية، وهو نبات قائم الساق يصل ارتفاعه إلى نحو المتر، وله أوراق رمحيه الشكل وأزهار زرقاء اللون، وتستخدم ألياف نبات الكتان في صناعة الملابس لنعومة خيوطها ورقتها وبياضها الناصع. ويمتد الموطن الأصلي للكتان من شرق البحر المتوسط إلى الهند، ويعتقد أن بداية استخدامه كانت في منطقة الهلال الخصيب. وقد عُرف في مصر بوصفه أقدم المنسوجات، واهتم المصريون القدماء بالكتان اهتمامًا كبيرًا وصل إلى درجة التقديس؛ إذ أشارت بعض النصوص الدينية المصرية إلى أن الكتان قد زرع في فردوس السماء. الجدير بالذكر أن أقدم دليل على اكتشاف ألياف من الكتان المصبوغ كان في كهف في جورجيا يعود تاريخه إلى (٣٦,٠٠٠) سنة قبل الحاضر (Balter ٢٠٠٩: ٤٤، ويكيبيديا ٢٠١٢: «كتان»).

وإذا كانت المجتمعات البشرية قد عرفت الزراعة في العصر الحجري الحديث، فقد عثر في الجزيرة العربية على أدلة تؤكد معرفة الإنسان للزراعة في العصر المشار إليه؛ ومن ذلك، بقايا مزروعات مثل القمح والشعير ونحوها، عثر عليها في منطقة خولان باليمن في مواقع تعود إلى نهاية الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة قبل الميلاد، وهو التاريخ نفسه الذي نشأت فيه القرى الزراعية في جنوبي الجزيرة العربية (الباشا ١٤٢١: ٩٥، رشاد ٢٠٠٧: ٣٥-٣٦)، إلا أنه لم يعثر ما يدل على زراعة الكتان.

ومن المرجّح، أن الكتان كان من المواد التي استخدمت لصناعة الملابس منذ العصر النحاسي على أقل تقدير في الجزيرة العربية، كما تدل على ذلك لوحات الرسوم الصخرية المكتشفة، ويبدو أن الكتان كان يتم جلبه كمادة خام من المناطق الحضارية المجاورة ومن ثم يتم تصنيعه، أو أنه يتم جلبه جاهزاً على هيئة لباس.

الأدوات التي صنع منها اللباس:

أما عن الأدوات التي استخدمت في عمليات صناعة الملابس، فإن المواقع الأثرية التي تم كشفها حتى الآن في منطقة الدراسة لا تمدنا بشيء عن تلك الأدوات، مع يقيننا أن إنسان الجزيرة العربية القديم كان على علم ودراية كافيين بكيفية تصنيع ملابسه بأشكال وطرق مختلفة، تساعده بذلك بعض الابتكارات التي استخدمها في هذا الغرض والمتمثلة بأدوات الدباغة والغزل والنسيج.

ومع أنه لا يوجد في منطقة الدراسة حتى الآن أدوات اكتشفت وتعود إلى فترة الدراسة استخدمت في عملية الغزل والنسيج مثل الأنوال والمغازل، إلا أن هناك مواقع أثرية خارج منطقة الدراسة وجد فيها معثورات تدل على معرفة صناعة الملابس، ما يدل على معرفة مجتمعات الجزيرة العربية القديمة لهذه التقنية، وبالتالي تحقيق الاكتفاء الذاتي من هذه السلع على أقل تقدير؛ إذ، عثر في

موقع المقر الأثري الذي يقع إلى الجنوب من مدينة الرياض بالقرب من مدينة تثليث، والذي يعود تأريخه إلى العصر الحجري الحديث، على العديد من الأدوات الحجرية من بينها أدوات كثيرة ومتنوعة استخدمت في الغزل والنسيج، مثل: الأنوال، والمغازل، والمثاقيل (الهيئة العامة للسياحة ١٤٣٢: حضارة المقر).

بقي أن نشير إلى أن الملابس التي تظهر في الرسوم الصخرية المختارة للدراسة لا توضّح ما إذا كانت ملونة أم لا؛ إلا أن ذلك لا يمنع من أن يكون إنسان الجزيرة العربية القديم استخدم الأصباغ في تلوين ملابسه، كما استخدمها في تلوين رسوماته أيضاً؛ إذ، دلت بعض الرسوم الصخرية الملونة أن الإنسان القديم في الجزيرة العربية عرف تحضير بعض الأصباغ الطبيعية ومزجها مع بعض المواد العضوية الأخرى ما نتج عنه أصباغ متعددة الألوان أغلبها الأبيض والأسود والأحمر. فقد عثر في منطقة حائل على رسوم صخرية ملونة باللونين الأحمر والأسود (خان ١٤٣٢: ٣٦-٣٧)، كما عثر في جبل اللوز بمنطقة تبوك على رسوم ملونة باللون الأحمر، تمثل أشكالاً بشرية وأبقار ورموز هندسية وغيرها، كما عثر في جنوب غربي الجزيرة العربية في مناطق الباحة وأبها وجازان على رسوم ملونة لأشكال بشرية وحيوانية وأشكال هندسية (الأنصاري وآخرون ١٤٢٣: ١٢٢، Khan 2007: 241, 289, 292). كما وجد في موقع بالقرب من حوطة بن تميم وسط الجزيرة العربية على أشكال هندسية استخدمت الألوان في رسمها (Abdulnayeem 2000: 219). والأمثلة على ذلك كثيرة.

وأخيراً، يمكن القول إن التماثل في بعض أنواع الملابس وتكرار ظهورها في أكثر من لوحة رسوم صخرية، يوحي إلى احتمالية قيام المجتمع بصناعة تلك الأنواع ذات الطرز المتشابهة، أو استيرادها من منطقة حضارية معينة تقوم بتصنيعها، أو أن الموقع الجغرافي لهذا المجتمع يقع على طريق تجاري أو بالقرب منه، فقد أفاد مما تحمله القوافل التجارية من هذه السلع.

الخاتمة:

إذاً، يتبين من خلال ما سبق، أن إنسان الجزيرة العربية اهتم بشؤونه الخاصة وحياته الاجتماعية، ويظهر ذلك من خلال توثيقه اللباس في بعض رسوماته الصخرية؛ وبصرف النظر إن كان ذلك مقصوداً من قبل الفنان أم لا، إلا أن هذه اللوحات عبرت عن ذلك، وحفظت لنا جزءًا مهماً من نمط الحياة القديمة؛ ما ساعد في معرفة وفهم جزء من طبيعة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة البحث.

لقد كشف البحث عن عدد من الأمور المهمة، لعل في مقدمتها أنواع اللباس حسب الأغراض المستخدمة من أجلها في حياة المجتمعات البشرية القديمة، إذ بيّن البحث خمسة أنواع رئيسة هي: ألبسة المعبودات، والصيادين، والمناسبات، ولباس العامة، والمرأة. وأن هذه الأنواع صنعت من مواد عضوية مختلفة، مثل: الجلود، والصوف، والكتان؛ والتي قد تتوافر في البيئة الطبيعية للإنسان، باستثناء مادة الكتان التي عرفت واشتهرت في وادي النيل، وكل ذلك يقودنا إلى أن عملية تصنيع هذه الأنواع من اللباس بتلك المواد المختلفة لا بد أنها قد تمت بطرق مختلفة مثل الدباغة والغزل والنسيج.

كما يمكن القول - إجمالاً - إن منطقة الدراسة تعد من المناطق التي حظيت بتفاعل حضاري على المستويين الداخلي أو الخارجي، ويتضح ذلك من خلال حركة التبادل الحضاري والثقافي بينها وبين بقية مناطق الجزيرة العربية وما جاورها من مراكز حضارية. ولا شك أن هذه التفاعلات الحضارية شكلت جزءًا من الشخصية الاجتماعية لدى المجتمعات البشرية في منطقة الدراسة؛ ويتبين ذلك من خلال ما حوته بعض لوحات الرسوم الصخرية من تأثيرات ثقافية وفنية خارجية، كالشعر المستعار الذي استخدمته نساء وادي النيل في الرقص، وكذلك الكتان الذي كان معروفاً في حضارة مصر القديمة.

إلا أن ذلك لا ينفي أن تكون مجتمعات منطقة الدراسة لها هي الأخرى استقلالية في شخصيتها الاجتماعية، مستمدة ذلك من واقع بيئتها وخبراتها الحياتية التي ربما فرضت

عليها أسلوباً معيناً في نمط العيش والتكوين الاجتماعي؛ ولعل ذلك يتضح من خلال الجزيئات التي ناقشها البحث والمتمثلة في اللباس بأنواعه، في كونه الشاهد الأبرز والأكثر حضوراً في الرسوم الصخرية، والذي يعكس بدوره نمطاً من الأوضاع الاجتماعية خلال الفترة الزمنية، موضوع البحث.

إن ظهور اللباس بأنواعه وأشكاله المتعددة وبتقنيات تصنيع مختلفة، كل ذلك ينفي أن يكون الإنسان في الجزيرة العربية قد عاش بشكل بدائي، وإنما يوحي بوجود رقيّ حضاري وثقافي لدى تلك المجتمعات القديمة، كما أن ذلك لا يمنع من القول إن إنسان الجزيرة العربية القديم كان له حضور في الأوساط الحضارية المجاورة، كمصر مثلاً؛ وذلك من خلال التماثل في المنتجات التي عُرفت بها تلك الحضارات وظهرت في رسوماته، فقد عرفها واستعملها وربما طورها بما يخدم ذاته وبالتالي مجتمعه.

كما يمكن القول إن بعض أنواع الملابس المتميزة بتقنية الصنع وبجمال الشكل التي ظهرت في رسومات العصر الحجري الحديث في مناسبات معينة، مثل: الصيد، أو ممارسة طقس اجتماعي، أو ديني أو نحوهما، قد أمتد ظهورها حسب نوع المناسبة في الفترات الزمنية اللاحقة، وإن لم يظهر ذلك جليّاً في بعض رسوم تلك الفترات، وذلك قد يعود لكونها ركزت أكثر على الاختزال في طريقة التنفيذ وأسلوبه، وعلى موضوعات محددة، مثل: الصيد، والتجارة، والرعي، أو ظهور الأشكال البشرية منفردة أو مجتمعة، أو مع حيوانات في وضعيات مختلفة ومتنوعة ونحوها؛ وهذه قد لا تتطلب بالضرورة ظهور الأشكال بملابس مميزة وجميلة وواضحة المعالم.

أ.د عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار: قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، الرياض.
أ. نايف بن علي القنور: الهيئة العليا للسياحة والآثار، الرياض، المملكة العربية السعودية.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الأمين، يوسف مختار، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، **الأثنوراركيولوجيا: الدراسة الآثارية للثقافة المادية المعاصرة**، الرياض: دار القوافل للنشر والتوزيع.

الأمين، يوسف مختار، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ يوليو ٢٠٠٣م، «العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية»، **أدوماتو** ٨.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، **البدع تاريخها وآثارها**، ط١، الرياض: وزارة المعارف.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، محرم/صفر ١٤٢٢هـ/ أبريل ٢٠٠١م، «ثمود والثمودية (١) ثمود كما أرخها القرآن الكريم»، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون، **اللقاء العلمي السنوي الثالث للجمعية: دول مجلس التعاون بدول الخليج العربية عبر العصور**، مسقط.

بار، بيتر وآخرون، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، «برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية: ب- التقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية»، **أطلال** ٢.

الباشا، حسن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، **الفنون في عصور ما قبل التاريخ**، مصر: مكتبة الدار العربية للكتاب.

خان، مجيد، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، **جبة: أرض الرمال الذهبية والحضارة المفقودة في جزيرة العرب**، الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار.

خان، مجيد، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، **الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية**، الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف.

الدوسري، سارة فالح، ١٤٣٠هـ، **الفنون الصخرية بجبل أم سنمان بمنطقة حائل: دراسة آثارية**، رسالة ماجستير، قسم الآثار بكلية السياحة والآثار، الرياض: بجامعة الملك سعود.

رشاد، مديحة محمد، ٢٠٠٧م، **فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ**، صنعاء: المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية.

الرويسان، سعد، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، **مواقع أثرية في حائل**، الرياض:

الهيئة العامة للسياحة والآثار.

زارينس، يوريس وآخـرون، ١٤٢٤هـ/٢٠٠١م، «برنامج المسح الأثري الشامل لأراضـي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئي لمسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م»، **أطلال** ٤، ط ٢.

السعود، عبدالله بن سعود وآخرون، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، « تقرير عن مسح مواقع جبة بمنطقة حائل الموسم الأول ١٤٢٢هـ «، **أطلال** ١٨.

عبد النعيم، محمد، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، **آثار ما قبل التاريخ وفجرة في المملكة العربية السعودية**، ترجمة: عبدالرحيم خبير، الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

العيسى، عباس، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، **موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية: الملابس النسائية وأدوات الزينة، الجزء ٧**، ط٢، الرياض: وزارة التربية والتعليم.

كباوي، عبدالرحمن وآخرون، ١٤٠٩هـ، «حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث ١٤٠٦هـ»، **أطلال** ١١.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ١٩٨٥م، **قصص الأنبياء**، ط٣، تحقيق: السيد الجميلي، بيروت: دار الجيل.

مختار، محمد، (د.ت)، **الأزياء في مصر القديمة**، القاهرة: مركز تسجيل الآثار المصرية.

الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، **حضارة المقر: جذور الخيل العربية**، الرياض.

ويكيبيديا، «كتان»، (٢٠١٢م) http://ar.wikipedia.org/wiki/%.

ثانياً: المراجع غير العربية

Abdulnayeem, M., 2000. **The Rock Art of Arabia (Saudi Arabia, Oman, Qatar, Emirates and Yemen)**, Hyderabad Publishers .

Balter, M., 2009. "Clothes Make the Human", **Science** 11 September : Vol. 325 no. 5946.

Khan, M., 2007. **Rock Art of Saudi Arabia Across Twelve Thousand Years.** Ministry of Education, Riyadh.